متروبوليت وشهيد



الشهيد في الكهنة
سيرافيم (تشيتشاغوف)
متروبوليت بطرسبورغ

سلسلة الشهداء والمعترفون الروس الجدد ٦

الشهيد في الكهنة سيرافيم (تشيتشاغوف) متروبوليت بطرسبورغ

مكتبة الجبل للنشر والتوزيع

التراث السلافي الأرثوذكسي

الكتاب : الشهيد في الكهنة سيرافيم (تشيتشاغوف) متروبوليت بطرسبورغ.

الكاتب : عامر كامل خليل (هلسا).

الناشر : مكتبة الجبل للنشر والتوزيع .

الطبعة : الأولى ، ٢٠١٧.

للطلب داخل المملكة الأردنية الهاشمية :

٠٠٩٦٢٧٩٦٥٠٠٣٣٢

للطلب داخل لبنان وسوريا :

من داخل لبنان (٠٣٦٠٣٧٨٣) من خارج لبنان ٠٠٩٦١٣٦٠٣٧٨٣

للطلب داخل جمهورية مصر العربية :

دار مجلة مرقس : ٢٨ شارع شبرا - ٢٥٧٧٠٦١٤

الشهيد في الكهنة سيرافيم (تشيتشاغوف)

متروبوليت بطرسبورغ

متروبوليت وشهيد

الكاتب / عامر هلسا

مراجعة : الدكتورة / يوليا بيتروفا

دليل الكتاب



إيقونة القدّيسين الشهيدين في الكهنة

سيرافيم تشيتشاغوف وهيلاريون ترويئيتسكي

القدّيس سيرافيم (تشيتشاغوف) متروبوليت بطرسبورغ

يجتمـــع الكـــثير مـــن النـــاس بتـــاريخ ١١ ديســمبر/كــانون الأول في ميــدان بوتوفــو للرمايــة في ضــواحي موســكو، وذلــك لتكــريم ذكــرى أحــد أبــرز رعــاة الكنيســة الأرثوذكســية الروســية في القــرن العشـــرين – ســيرافيم (تشيتشـــاغوف) متروبوليـــت بطرســبورغ. هــذا اليــوم هــو تــاريخ إعدامــه رميــاً بالرصــاص. ثمــار حيــاة المتروبوليــت ســيرافيم كانــت علــى درجــة عاليــة مــن الأهمّيــة بحيــث أنــه لــو عــاش في بلــد آخــر لنصــبوا لــه تمثــالاً إكرامــاً لــه، لكــن في الاتحــاد الســوفييتي تعــرّض للافــتراء وأُعلــن "عــدواً للشعب".



نشأة القدّيس

وُلد القدّيس سيرافيم **(اسمه في العالم ليونيد تشيتشاغوف)** في ٩ يناير/كانون الثاني عام ١٨٥٦ في بطرسبورغ في أسرة عقيد سلاح المدفعية ميخائيل تشيتشاغوف وزوجته ماريا، وكانت أسرته تنحدر من إحدى أشهر سلالات النبلاء في مقاطعة كوستروما*.

---

*تقع مدينة كوستروما عند ملتقى نهري فولجا وكوستروما. تأسست مدينة كوستروما عام ١١٥٢، وهي واحدة من أقدم المدن الروسية، وكانت تمثل المركز الإداري للمقاطعة. المسافة من كوستروما إلى بطرسبورغ ٨٠٥3/4 فيرست، ومن كوستروما إلى موسكو ٣٠٥ فيرست. والفيرست هو وحدة روسية لقياس المسافة، لم تعد مستخدمة، وتساوي ١,٠٦٦٨ كلم.

البطولات

شارك ليونيد تشيتشاغوف في أغلب الأحداث الرئيسية للحرب الروسية التركية الدامية وأظهر بطولات شخصية رفيعة المستوى أكثر من مرّة، فتمّ منحه عدة أوسمة عسكرية. عندما بلغ ليونيد الثلاثين من عمره لم يكن أحد يتوقّع بأنه يمكن أن يصبح كاهناً.



لقد كان في ذلك الوقت ضابطاً لامعاً ويُشار إليه بالبَنَانِ في صالونات المجتمع الراقي، كونه سليل أدميرالين شهيرين ومن طبقة النبلاء، وفي الظاهر لم يكن يتميّز عن أبناء طبقته، حيث كان يملك بيتاً مؤثثاً بذوق وزوجة رائعة الجمال وكانْ يتردّد على المسارح وحفلات الرقص. لقد كان واسع الثقافة والعلم ويُتقن اللغات الأجنبية وكان يتلذّذ بممارسة الرسم والعزف الموسيقى، ولم يكن الكثير من معارفه يعرفون أنه كان يُعتبر أحد أفضل خُبَرَاءُ روسيا في مجال التاريخ العسكري وكان صاحب مؤلّف شامل حول المدفعية.

وممّا يثير العجب أيضاً هو أنه على مدى سنين عديدة وضع نظاماً خاصّاً به للعلاج بالأعشاب، ومما حفّزه على ممارسة طبّ الأعشاب أنه شارك في حرب البلقان وهناك على الجبهة كان معايناً لمعاناة آلاف الجرحى. نجد طريقته للعلاج في بحثه

"الأحاديث الطبّية" المكوّن من مجلّدين.

نظراً لخدمته المتفانية وبالأخذ في الاعتبار جوائزه الرفيعة المستوى (**عشرة أوسمة روسية وأجنبية**) كان من المتوقع أن يشغل أعلى مناصب حكومية، لكن ليونيد تشيتشاغوف البالغ ٣٤ عاماً والحاصل لتوّه على رتبة عقيد صعق كل بطرسبورغ بقرار استقالته.

الأب يوحنا كرونشتادت

سبب هذا المنعطف كان مخفياً على الآخرين. بعد خوضه أتون الحرب عاد ليونيد إلى بطرسبورغ وهو إنسان آخر. وفي خضم بحثه عن إجابة على سؤاله

"كيف أعيش بحسب الله وبحسب المسيحية" ؟؟؟.

جاء إلى المرشد الروحي البارز – إلى الأب يوحنا كرونشتادت. فترك الحديث مع راعي عموم روسيا

انطباعاً قوياً في نفسه، إلى درجة أنه أصبح يتخذ كل القرارات الهامة في حياته ببركة من الأب يوحنا كرونشتادت فقط.

لاهوتي ضليع

في تلك الفترة أيضاً ابتدأ ليونيد تشيتشاغوف دروساً منتظمة في اللاهوت وبالرغم من أنه لم يدرس في المدرسة الإكليريكية تحوّل هذا الضابط إلى لاهوتي ضليع واسع المعرفة وأصبحت هيبته مع الوقت مُعترف بها في كل الكنيسة الأرثوذكسية الروسية. وهكذا كان ليونيد تشيتشاغوف يتمّم مشيئة اللّه بثبات في قراره دخول سلك الكهنوت.

لقد كشف الأب يوحنا كرونشتادت له دعوته المستقبلية وهي طريق الكهنوت. وبعد عدة سنوات عند زيارته إلى دير ديفييفو (**الدير الذي أسّسه القدّيس سيرافيم ساروفسكي**) رأته هناك راهبة

لها موهبة الرؤية ووجهّت له الكلمات التالية:

"أَكمامك هي أَكمام كاهن لا بل حتى أَكمام مطران".

وهكذا وفي عامه السابع والثلاثين خطى ليونيد تشيتشاغوف في طريق الكهنوت وذلك في موسكو بعيداً عن بهرجة العاصمة.

القرار المصيري

وقبل اتخاذه هذا القرار المصيري واجه ليونيد تشيتشاغوف تجربة من أصعب التجارب في حياته وهي أن زوجته المحبوبة نتاليا نيكولايفنا كانت تعارض قرار زوجها بترك الخدمة العسكرية وبتكريس نفسه كلياً لخدمة الله ككاهن. الأسباب التي جعلت هذه المرأة الجزيلة التقوى تعارض إرادة زوجها الخيّرة كانت مرتبطة من ناحيةٍ بنمط الحياة للمجتمع الراقي المحيط بها، ومن ناحيةٍ أخرى بالظرف المعيشي المعقّد الذي كانت تمرّ به

أسرة تشيتشاغوف في ذلك الوقت.

قام القدّيس البار يوحنا كرونشتادت بمباركته لليونيد لقبول الكهنوت وكان يفهم كل الصعوبات التي ستأتي على أسرة تشيتشاغوف بسبب هذا التغيّر في حياتها، ووجد القدّيس يوحنا أنه من الضروري أن يتحدّث إلى نتاليا تشيتشاغوفا ويقنعها بأن لا تقاوم مشيئة اللّه وأن تعطي موافقتها لقبول زوجها رتبة الكهنوت. ساعدت كلمات راعي كرونشتادت الحكيم الزوجة نتاليا بأن تتخطّى شكوكها ووافقت على أن تتقاسم مع زوجها عبء الخدمة الجديدة.

في عام ١٨٩١ ارتحلت أسرة تشيتشاغوف إلى موسكو التي كانت تعتبر عاصمة روحية لروسيا، وهناك تحت ظل أديرة وكنائس موسكو المقدّسة صار ليونيد يُعدّ نفسه لقبول الكهنوت. في ٢٦ فبراير/شباط من عام ١٨٩٣ رُسم شمّاساً، وبعد يومين تمّت رسامته الكهنوتية.

ليونيد تشيتشاغوف وزوجته



المجتمع الراقي لم يفهم ولم يؤيّد سعيه، لأن الانتقال من الطبقة الأرستقراطية إلى طبقة الكهنة كان أمراً غير معقول في نظر أبناء "**هذا العالم**"، فعلى تخوم القرن العشرين لم يكن رجال الدين في روسيا يحظون باحترام في المجتمع كما في الأزمنة السابقة. لقد جاء عصر "**المادية**" والاكتشافات العلمية وبدا من الظاهر أن العلماء دحضوا الفكرة السائدة لنشوء العالم. في زمن ما قبل الثورة البلشفية كان أناس مثل يوحنا كرونشتادت وليونيد تشيتشاغوف حالة شاذة.

كانوا في عظاتهم من فوق المنابر يدعون معاصريهم إلى البحث عن الله واقتناء السلامة والضمير النقي من خلال التوبة وتطبيق شريعة المحبّة الإنجيلية.

وفاة زوجته

تضاعفت تجارب السنة الأولى للخدمة الكهنوتية للأب ليونيد عندما مرضت زوجته فجأة مرضاً عضالاً أدى إلى وفاتها في عام ١٨٩٥. تركت وراءها أربع بنات الكبيرة منهنّ في الخامسة عشرة والصغيرة في التاسعة. سافر الأب ليونيد بجثمان زوجته إلى ديفييفو ودفنها في مقبرة الدير* وأقام فوق القبر مُصلّىً وجهّز لنفسه قبراً بجانب قبر زوجته، **ولكن لم يُقدّر لهذا القبر أن يحتضن جسد الشهيد في الكهنة.**



* هذا الدير أسّسه القدّيس سيرافيم ساروفسكي.

- راجع كتاب أجمل صلاة في حياتي.

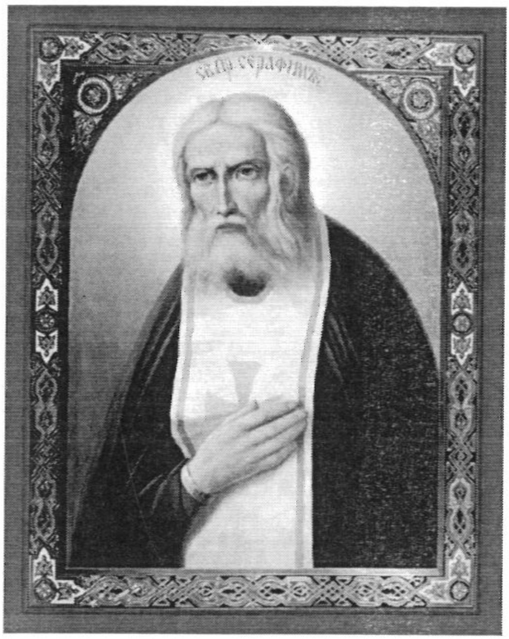
في هذه الفترة العصيبة كانت الموسيقى تساعده في التغلّب على ألمه. في بداية تسعينات القرن العشرين عندما عُزفت لأول مرة المؤلّفات الموسيقية للشهيد في الكهنة سيرافيم تشيتشاغوف كان الجميع منذهلين من روعة تلك الموسيقى.

في نفس الوقت شقّ لنفسه طريقاً جديداً وهو تحوّله من باحث في التاريخ العسكري إلى باحث في التاريخ الكنسي، فدرس الوثائق بإخلاص ونزاهة إلى أن خرج من تحت زَراعِه أهمّ مؤلَّف في حياته "المدوّنة التاريخية لدير ديفييفو".

المدوّنة التاريخية لدير ديفييفو.

لقد كشفت هذه المدوّنة عن تاريخ أحد أشهر الأديرة الروسية وعن الجهادات الرهبانية لأحد أعظم نسّاك روسيا – المتوشّح بالله سيرافيم ساروفسكي. الوثائق التي جمعها الأب سيرافيم تشيتشاغوف حول حياة القدّيس سيرافيم ساروفسكي وجهاداته الروحية ومذكّرات

موتوفيلوف والعديد من الشهادات لمعجزات حدثت بشفاعة القدّيس سيرافيم – كلّها كانت الأساس لإعلان قَدَاسَة الستاريتس سيرافيم ساروفسكي.



المتوشّح بالله سيرافيم ساروفسكي

أخذ الأب ليونيد بركة لهذا العمل من إحدى ستاريتسات * دير ديفييفو المغبوطة باشا من ساروف. هكذا كتب الأب ليونيد عن ذلك:

"أوصلوني للبيت الذي كانت تعيش فيه باشا، وما أن دخلت إلى حجرتها حتى هتفت باشا التي تلازم الفراش (حيث أنها كانت طاعنة في السن ومريضة جداً)

قائلة:

"جيّد أنك أتيت، أنا منذ وقت طويل أنتظرك، القدّيس سيرافيم أوصى بأن أبلغك بأنه يجب عليك أن تخبر القيصر بأن الوقت قد حان لإخراج رفاته وإعلان القداسة".

---

* ستاريتسا (старица) – صيغة مؤنث من "ستاريتس" ويُقصد بها امرأة (في معظم الأحيان راهبة) ذات مواهب روحية منها موهبة الرؤية.

فأجبت باشا وقلت لها بأني بوضعي الاجتماعي الذي أنا عليه الآن لا أقدر أن أقابل القيصر ولا أن أبلغه رسالتها... فردّت باشا على كلامي قائلة:

"أنا لا أعرف شيئاً، أنا أبلغتك فقط بما أوصاني به القدّيس سيرافيم".

فغادرتُ حجرة الستاريتسا وأنا في حيرة من أمري".

تمّت طباعة المدوّنة في عام ١٨٩٦ وتمّ إهداء نسخة منها إلى القيصر نيكولاي الثاني، ممّا ساهم في اتخاذ القرار بإعلان القداسة. أبدى القيصر إصراراً خاصّاً لأجل ذلك، أما الأب ليونيد فلم يخطر على باله أبداً أية **"مكافأة"** تنتظره عن هذا العمل.

عندما تمّ إنجاز العمل بالمدوّنة وكان الملفّ الكبير مع أوراقها موضوعاً على الطاولة في غرفة الدير المخصّصة للأب ليونيد، انفتح باب الغرفة ودخل الأب سيرافيم ساروفسكي.

لقد رآه الأب ليونيد كما لو أنه حيّ، ولم تساوره أية فكرة عن أنها رؤيا، لأن كل شيء كان ببساطة ووضوح. وانتابه شعور بالدهشة عندما انحنى له الستاريتس سيرافيم قائلاً:

"شكراً لك من أجل المدوّنة. اطلب مني كلّ ما تريد مقابلها".

نطق الأب ليونيد بصعوبة قائلاً:

"أبتي، عزيزي، كم أنا فرحان الآن بحيث أني لا أريد شيئاً آخر سوى أن أكون دائماً بجوارك".

فابتسم الأب سيرافيم واختفى فجأة.

وأخيراً، في صيف ١٩٠٣ بعد استخراج رفات القدّيس سيرافيم أُقيمت الاحتفالات بمناسبة إعلان قَدَاسَة القدّيس والناسك الروسي العظيم. وكان يمشي في مقدّمة مسيرة الاحتفال القيصر نيكولاي الثاني ومؤلّف المدوّنة.



أُقيمت الاحتفالات بمناسبة إعلان قَدَاسَة القدّيس والناسك الروسي العظيم. وكان يمشي في مقدّمة مسيرة الاحتفال القيصر نيكولاي الثاني ومؤلّف المدوّنة.

في سنوات العمل على المدوّنة نضج عند الأب ليونيد قرار حول اختياره لطريق حياته المستقبلية. لقد وجد تحت قباب الدير الراحة النفسية وصار لحياته معنى وهدف. أودع بناته الأربع في كنف أناس أمناء أخذوا على عاتقهم متابعة تحصيلهنّ العلمي وتربيتهنّ، وفي عام ١٨٩٨ دخل الأب ليونيد لافرا الثالوث القدوس والقديس سيرجي. وقد حصل على اسم سيرافيم في رسامته الرهبانية وكان لهذا الأمر أهمية كبيرة بالنسبة للراهب الجديد.

أسقفاً على سوخومي

شاءت الإرادة الإلهية أن يكون للأب سيرافيم أصعب الخدم لكهنة الكنيسة الروسية في أوقات الفتن الروحية والتاريخية في القرن العشرين. ففي ٢٨ أبريل/ نيسان من عام ١٩٠٥ أتمّ مطران موسكو فلاديمير (بوغويافلينسكي) رسامة الأرشمندريت سيرافيم أسقفاً على سوخومي.

في كل الأبرشيات التي ترأسّها أبدى موهبة مميّزة كمنظم للحياة الكنسية واضعاً الترتيب في الأمور المنهارة وجامعاً الرعية من حوله. وبالرغم من كل انشغالاته كان يجِد الوقت لممارسة كتابة الإيقونات وعندها ظهرت للوجود إيقونات مدهشة للمخلّص وللقدّيس سيرافيم ساروفسكي. كل الأشياء التي لمستها يداه صارت وسائل لخدمة الله والناس.

وجد المتروبوليت سيرافيم نفسه بعد عام ١٩١٧ أمام خيارين:

+ إمّا أن يبقى وفياً للكنيسة الأرثوذكسية.

+ أو أن يذهب إلى حلّ وسط مع "المجدّدين" .

المجدّدون: هم أتباع حركة تجديد الكنيسة على جميع المستويات وقد ظهرت هذه الحركة المنشقة عن بطريركية موسكو والموالية للسلطات الجديدة إثر إنقلاب تشرين الأول ١٩١٧ وحظيت بدعم البلاشفة

كان هدف الحكومة هو إجراء الإصلاحات الكنسية بحسب خطة المجدّدين والقضاء على الأرثوذكسية القانونية. في الفترة ما بين ١٩٢٢- ١٩٢٦ كانت حركة المجدّدين منظمة "**أرثوذكسية**" وحيدة معترف بها من قبل السلطات السوفييتية. في أواسط العشرينات كان حوالي نصف الأساقفة والرعايا في روسيا تحت نفوذ الحركة والسبب الرئيسي لذلك هو خوفهم على حياتهم ودعم السلطات للمجدّدين.

حَرمَ البطريرك تيخون روّاد حركة المجدّدين من الأعمال الكهنوتية ومنع المؤمنين الأرثوذكس من الشركة الإفخارستية معهم. كان للقديس هيلاريون* دور كبير في إرجاع الكثير من المجدّدين إلى حضن الكنيسة الأرثوذكسية وتطبيع الحياة الكنسية في موسكو. لقد قام شخصياً بوضع ترتيب قبول المجدّدين إلى الكنسية واقتبل اعترافات المئات منهم.

---

*راجع كتاب القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون ترويئيتسكي.

كان الجواب بالنسبة إليه واضحاً وهذا كان يعني أنه لا بد من استعداده للاضطهاد. لقد حاولوا أكثر من مرة أن يرشوه بالوعود وأن يستغلّوا هيبته، وتملّقوه بشكل علني ولكنه بقي وفياً لدعوته الرعوية وحافظ على طاعة البطريرك تيخون المنتخب في ١٩١٧. لذلك تعرّض لأكثر من مرة للسجن، كما تم نفيه إلى أرخانغلسك * وهو في الثانية والسبعين من عمره بالرغم من صحّته المتدهورة.

رئيس الأساقفة هيلاريون ترويتسكي **

في عام ١٩٢٩ عندما كان يشغل منصب متروبوليت بطرسبورغ ظفر بتصريح لدفن جسد رئيس الأساقفة هيلاريون ترويتسكي (الذي توفي

---

* أرخانغلسك (ومعناها "مدينة رؤساء الملائكة") – مدينة في شمال روسيا قريبة من البحر.

** راجع كتاب القدّيس الشهيد في الكهنة هيلاريون ترويتسكي.

أثناء نفيه في الطريق من سولوفكي * إلى كازاخستان) حسب الطقوس المسيحية وبما يليق برتبته الكنسية، وكان يجمعه مع رئيس الأساقفة هيلاريون روابط روحية وقربهما من البطريرك تيخون.

---

* يقولون إن جزر "سولوفكي" هي المكان حيث يمكن إقامة القُدّاسُ في أي بقعة من أرضها، بما أنّ الأرض كلها هناك تشرّبت بدم الشُهداءُ. من يزور سولوفكي ينتابه الشعور بأن آلام البشر لا ينفصل عنها فرح القيامة وقوة الإيمان غير المقهور. قال الرسّام الشهير ميخائيل نيستيروف الذي كان يعمل في سولوفكي قبل الثورة البلشفية لرفيقه الكاتب بوريس شيرياييف الذي حُكم عليه بالسجن هناك معزّياً إياه: "لا تخف من سولوفكي، فالمسيح هناك قريب".

- راجع كتاب سولوفكي.

كرسي أبرشية لينينغراد

أثناء تواجد المتروبوليت سيرافيم على كرسي أبرشية لينينغراد* تميّزت خدمته بالتزامه بإقامة الصلوات الكنسية بكل ورع في أيام الآحاد والأعياد وبإلقاء عظات حماسية وسط ظروف الاضطهاد القاسي على الكنيسة.

كان المتروبوليت سيرافيم يقول للإكليروس والرعية:

---

* لينينغراد - بطرسبورغ:

عرفت سابقاً باسم لينينغراد Ленингра́д من ١٩٢٤ - ١٩٩١ وباسم بيتروغراد Петрогра́д من ١٩١٤ - ١٩٢٤.

هي مدينة روسية تقع في شمال غرب روسيا في دلتا نهر نيفا، شرق خليج فنلندا، في بحر البلطيق .و تعتبر أحد أكبر مراكز أوروبا الثقافية.

"طالما تقام الليتورجيا الإلهية وطالما يتقدّم المؤمنون للمناولة المقدّسة فمن الممكن أن نكون واثقين بأن الكنيسة الأرثوذكسية ستصمد وستنتصر ولن يهلك الشعب الروسي في شرّ الخطيئة والإلحاد والحقد والمادّية والكبرياء والنجاسة، وستنهض روسيا من جديد وستنجو. لذلك فكّروا قبل كل شيء بأن تحافظوا على إتمام الخدمة الليتورجية بلا انقطاع (بشكل يومي، وحتى أكثر من مرة في اليوم على مذابح مختلفة). فإنه بوجود الليتورجيا ستبقى الكنيسة وستبقى روسيا".

نهاية خدمتة

في عام ١٩٣٣ بعد أن بذل القدّيس سيرافيم البالغ ٧٧ عاماً كل قواه لخدمة أبرشية لينينغراد اقتربت نهاية خدمته كأسقف. وبسبب ضعفات الجسد وكُره سلطات الدولة المتصاعد له أصدر السينودوس البطريركي المقدس المؤقت قراراً بإحالته على التقاعد. فعاد القدّيس سيرافيم إلى

موسكو ووجد لنفسه بيتاً من غرفتين في ريف موسكو كان المأوى الأخير له.

١٩٣٧

كانت سنة ١٩٣٧ في حياة القدّيس سيرافيم الأرضية شأنه شأن الكثيرين من الشهداء الجدد الروس خطّاً دموياً بدأ فترة السنوات الخمس للإبادة الجماعية للمسيحيين الأرثوذكس. تم اعتقال المتروبوليت البالغ ٨٢ من العمر في نوفمبر/تشرين الثاني من هذا العام وهو طريح الفراش وتم نقله على الحمالة وبسيارة الإسعاف إلى سجن **"تاغانكا"**.

في ٧ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٣٧ تم إصدار الحكم عليه بالإعدام رمياً بالرصاص، وكانت التهمة الموجّهة للمتروبوليت العجوز المريض هي: **"التآمر على الثورة"**. الحكم المحرّر بأسلوب ركيك وبأخطاء لغوية مطبوع على ورقة صفراء وهي

معروضة الآن في متحف بوتوفو. في ١١ ديسمبر/كانون الأول عام ١٩٣٧ تم إعدام المتروبوليت سيرافيم رمياً بالرصاص مع مجموعة من المحكوم عليهم. القدّيس سيرافيم يترأس مجمع شهداء بوتوفو الجدد الذي يضمّ أيضاً ٦ أساقفة آخرين ومئات من رجال الكهنوت والعلمانيين.

طروبارية القدّيس سيرافيم الشهيدُ في الكهنة :

لقد أحببت جند الملك السماوي أكثر من الأرضي وظهرت خادماً مُتّقداً للثالوث القُدّوس،

وضاعفت المواهب المتنوّعة المُعطاة لك لمنفعة شعب الله، حافظاً في قلبك إرشادات راعي كرونشتادت.

وبما أنك كنت معلّماً للتقوى ومدافعاً عن وحدة الكنيسة تأهّلت أن تكابد الآلام حتى الدم.

أيّها الشهيدُ في الكهنة سيرافيم، تشفّع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا.

شُهداءُ " بوتوفو" الجدد - الجلجثة الروسية

يظنّ الكثيرون من الروس بأن **"بوتوفو"** هو مجرّد حيّ سكني جديد من أحياء موسكو. ولكن الناس اليوم يعلمون أكثر فأكثر أن هذا المكان يقع في منزلة واحدة مع أماكن مثل **"سولوفكي*"** و**"كوليما**"**

---

* سولوفكي – مجموعة الجزر في البحر الأبيض في أقصى شمال روسيا حيث تمّ تأسيس أوّل معتقل للسجناء السياسيين بعد الثورة البلشفية. راجع كتاب سولوفكي.

** كوليما – نهر في ياقوتيا (شمال شرق روسيا)، ويُقصد بهذا الاسم مجموعة المعتقلات الستالينية التي تم إنشاؤها في تلك المنطقة في الثلاثينات.

و"بابي يار*" و"بوخينفالد" و"أوشفيتز بيركينو"**، لأنه في بوتوفو بالذات كان يوجد ميدان الرماية أو بالأحرى ميدان للإعدام رمياً بالرصاص للجنة الشعبية للشؤون الداخلية للاتحاد السوفييتي سابقاً.

من المفترض أن هذا الميدان أُسّس من قبل نيكيتا خروتشوف بأمر من جوزيف ستالين. في نهاية عام ١٩٣٦ كان ستالين يستعدّ للانتخابات ولإقرار الدستور الجديد، وقبل الانتخابات والتصويت على الدستور كان قد حضّر لعملية "التطهير"، كما كانت تُسمّى عمليات الإعدام الجماعي رمياً بالرصاص.

---

* بابي يار – منطقة في كييف حيث تمّ إعدام أكثر من ١٥٠ ألف شخص (معظمهم من اليهود) على يد الفاشيين أثناء احتلالهم لكييف.

** "بوخينفالد" و"أوشفيتز بيركينو" – معسكرا الاعتقال والإبادة النازيان.

وفي أوائل شهر يوليو/تموز أصدر المكتب السياسي بتوجيه من ستالين قراراً للبدء بالتحضير لعمليات الإعدام الجماعي (**رمياً بالرصاص**). وبعد هذا بقليل قدّم خروتشوف تقريره إلى ستالين مُلخّصاً بالعبارة التالية: "**موسكو مستعدّة لعملية التطهير**".

وفي ليلة الثامن من أغسطس/آب عام ١٩٣٦ ابتدأ "**مصنع الموت**" عمله في بوتوفو. لقد تمّ تأسيس ميدانين للرماية: واحد في بوتوفو تابع لمديرية شرطة موسكو، والآخر في كولخوز (**المزرعة التعاونية**) "**كوموناركا**" للجهاز المركزي للجنة الشعبية للشؤون الداخلية. كان الميدان في "**كوموناركا**" مخصّصاً لإعدام المسؤولين في الحزب الشيوعي وضبّاط الجيش الأحمر وأعضاء اللجنة الشعبية للشؤون الداخلية نفسها والمهندسين والفنانين، أما بوتوفو فكان ضحاياه من طبقات اجتماعية مختلفة فمنهم العمّال والفلاحون والكهنة والمجرمون الخ.

كانوا يأتون بالمعتقلين من كل سجون موسكو

في شاحنات مغلقة مكتوب عليها "**خبز**" وذلك للتمويه، وكانت تُسمى هذه الشاحنات "**القاتلة**"، لأن الغاز العادم كان يُوجّه لداخل الشاحنة حيث يكون المعتقلون. كانوا يُعرّون المعتقلين من ملابسهم كاملاً ويربطونهم ويكمّمون أفواههم ويلقونهم في هذه الشاحنات. ابتكر هذه الطريقة أحد كبار المسؤولين في شرطة محافظة موسكو المدعو بيرغ وهو الذي ابتكر أيضاً إجراءات الرمي بالرصاص. في وسط ميدان الرماية كان بناء خشبي كبير مُحاط بالأسلاك الشائكة. كانوا يأتون بالمعتقلين إلى هناك بحجة "**الكشف الصحّي**". ثم كان يتم التدقيق على هوياتهم والصور التي بحوزتهم، وبعد ذلك كانوا يسلّمونهم للعاملين في فريق الرماية بالرصاص (**الجلادين**) المكوّن من عدة أشخاص.

كان عدد المقتولين رمياً بالرصاص في اليوم الواحد يبلغ ٥٠٠ شخص أحياناً (**وهذا الرقم يعادل**

العدد اليومي للقتلى في فترة الحرب العالمية الثانية). بلغ الحد الأقصى من القتلى في ميدان بوتوفو في ٢٨ فبراير/شباط عام ١٩٣٨، حيث تم إعدام ٥٦٢ شخص رمياً بالرصاص. كانت الرماية تتمّ بالمسدّسات وبالأسلحة الأوتوماتيكية. وكانت هناك في نفس المكان أخاديد محفورة بالبولدوزر، الأخدود الواحد بطول ٥٠٠ متر وبعرض ٣ أمتار وبعمق ٣ أمتار **(ويمكن رؤيتها من الصور الفضائية)**. وفي هذه الأخاديد كانوا يدفنون القتلى. لم يبدأ إبلاغ أقارب القتلى بتواريخ وأسباب إعدامهم إلا في عام ١٩٨٩.

كان الجلاد في اليوم الواحد يقضي ٨ ساعات في رمي ٥٠ شخصاً بالرصاص. وبعد الإنتهاء من عملهم كان الجلادون يمضون على بعض الأوراق ويعودون إلى موسكو في عربات الشرطة. ثم كان أحد السكان المحليين المكلّف يقوم بإهالة التراب على الجثث بالبلدوزر. وهكذا كل يوم. لقد كان ذلك حقاً مصنعاً للموت.

كان السكان المحليون يسمعون صوت إطلاق الرصاص وصراخ الناس، وكانوا يخافون من هذا المكان. ولم يزل هذا الخوف ولم يتغيّر الوضع إلى الأفضل إلا بعد بناء كنيسة في بوتوفو في عام ١٩٩٥ وذلك بحسب الأب الكاهن كيريل راعي الكنيسة.

حتى اليوم لم يتم التعرّف إلا على أسماء الشهداء الذين تم إعدامهم ودفنهم في بوتوفو في الفترة الواقعة بين شهر أغسطس/آب ١٩٣٧ وشهر أكتوبر/تشرين الأول ١٩٣٨ وعددهم ٢٠٧٦١ شخص.

تضمّ قائمة أسماء الذين تُصلي الكنيسة من أجلهم من المقتولين في بوتوفو ٩٤٠ اسماً من المعروف أن أصحابها قُتلوا من أجل اعترافهم بالإيمان الأرثوذكسي. وحتى الآن أُعلنت قداسة ٣٠٤ أشخاص منهم.

من المعروف أن عدد خدّام الكنيسة (من

الأساقفة إلى القارئين) الذين تم إعدامهم في بوتوفو يبلغ ٩٣٥ شخصاً.

مجمع شهداء بوتوفو الجدد يترأس قائمته الشهيدُ في الكهنة سيرافيم **(تشيتشاغوف)** ميتروبوليت سانت بطرس بورغ، وقد اشتهر كمدوّن تاريخ دير ديفييفو. نال إكليل الشهادة وهو في الواحدة والثمانين من عمره. أُعلنت قداسته في عام ١٩٩٧.

كان ميدان بوتوفو تحت حراسة قوّات أمن الدولة حتى عام ١٩٩٥ وبعد ذلك تمّ إحالته للكنيسة الأرثوذكسية الروسية وفُتح للزيارات في أيام السبت والأحد. في بداية التسعينات وببركة البطريرك ألكسي الثاني تمّ كشف تجريبي على مكان الدفن. تم حفر حفرة ٦ أمتار في ٦ أمتار ووُجد فيها ٧٢ جثة موضوعة في صفوف وعلى خمس طبقات وبجانبها كانت الملابس الخاصة بأولئك الناس. قد تم نصب صليب تذكاري في هذا المكان، وحتى

الآن لم يتم فتح أية قبور أخرى. ودعا البطريرك ألكسي الثاني هذا المكان بـ"الجلجثة الروسية".

يظهر اليوم ميدان الرماية في بوتوفو مثل حقل كبير مُحاط بسور، وفي وسطه توجد كنيسة خشبية وبالقرب منها صليب تذكاري، وتحيط بالكنيسة الأخاديد المليئة بأجساد القتلى، وبجانب الكنيسة ألواح خشبية منصوبة عليها أسماء القدّيسين الشهداء الذين اشتهدوا هناك. توجد في الأخاديد بقايا أكثر من عشرين ألف شخص تم قتلهم ومئات من بقايا القدّيسين الشهداء.

المراجع:

Дегтярева М. Митрополит Серафим (Чичагов): "Из рода Серафимов"

Житие священномученика митрополита Серафима (Чичагова)/ Отв. ред. Блинский А. - С-П.: «Сатисъ», 20

لقد أحببت جند الملك السماوي أكثر من الأرضي وظهرت خادماً مُتّقداً للثالوث القدوس، وضاعفت المواهب المتنوّعة المُعطاة لك لمنفعة شعب الله، حافظاً في قلبك إرشادات راعي كرونشتادت.

وبما أنك كنت معلّماً للتقوى ومدافعاً عن وحدة الكنيسة تأهّلت أن تكابد الآلام حتى الدم.
أيّها الشهيد في الكهنة سيرافيم، تشفّع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا.



التراث السلافي الأرثوذكسي
Al Jabal